

خطبة الجمعة القادمة ٥ محرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٣ أغسطس

٢٠٢١ م بعنوان من دروس الهجرة النبوية المشرفة

التخطيط واعتماد الكفاءات

العناصر:-

- ١ - التخطيط الجيد ، سبب رئيسي في نجاح أي عمل.
- ٢ - بنود خطة النبي صلى الله عليه وسلم للهجرة.
- ٣ - التخطيط وحده بعيداً عن الاعتماد على الله لا ينجح.
- ٤ - اختيار الشخص المناسب في المكان المناسب وحسن توظيف الطاقات.
- ٥ - كما نخطط للدنيا علينا أن نخطط للآخرة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد:-

أحبتني في الله :- ومازال الحديث مستمراً مع هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ومع الدروس المستفادة منها.

وكما قلنا أن هذه الأحداث ينبغي علينا أن نقف عندها وقفة تأمل وتدبر لتستفيد منها خير استفادة انطلاقاً من قول الله تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) [يوسف

[١١١]:

فتعالوا بنا لنستخرج درساً من دورس الهجرة النبوية، درساً يُعد من الدروس الهامة التي نحن في أمس الحاجة إليها في زماننا هذا وأيامنا تلك.

تُري أي درس هذا؟

إنه حسن التخطيط واعتماد الكفاءات..

وأبدأ وأقول :- أن التخطيط الجيد ، سبب رئيسي في نجاح أي عمل، فما أوجنا إلى التخطيط في كل مجالات حياتنا ، اقتداء برسولنا صلى الله عليه وسلم.

**فتعالوا بنا لنرى كيف خطط حبيبنا صلى الله عليه وسلم لهجرته..، وكيف كان ذلك التخطيط بفضل الله تعالى سببا في نجاته النبي صلى الله عليه وسلم ووصوله إلى المدينة المنورة سالماً آمناً.

بدايةً : نقول أن المشركين اجتمعوا في دار الندوة لوضع خطة لإنهاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما وصفهم الله تعالى بقوله: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)[الأنفال: ٣٠]، فَاتَّقَ رَأْيُهُمْ عَلَى رَأْيِ رَأَاهُ شَرِيرُهُمْ، أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَهُوَ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ فِتْنَى، وَيُعْطُوهُ سَيْفًا صَارِمًا، وَيَقْتُلُهُ الْجَمِيعُ قَتْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لِيَنْفَرَقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ.

وهنا أعلم الله جل وعلا وهو الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء فهو يعلم دبيب أرجل النملة السمراء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء.. أعلم حبيبه صلى الله عليه وسلم بما دبرته قريش وأمره جل وعلا بالهجرة .. فماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الهجرة ولكن هل سيهاجر بدون تخطيط ودراسة وبعشوائية لا والله. بل وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم خطة محكمة مدروسة تستفيد منها البشرية جمعاء تحرسه عناية الله تعالى وجميل تدبيره.

هذه الخطة تمثلت في الآتي :-

**أولا :- (السرية التامة).

فَلَمْ يَعْرِفْ بِأَمْرِ خُطَّةِ الْهَجْرَةِ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَبْلَ تَنْفِيزِهَا بِقَلِيلٍ ،

فقد ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر في وقت الظهيرة ، كما في قول السيدة عائشة رضي الله عنها فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ) ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يخطط لتحركاته ، فيخفي أمره عن أعدائه ، فيذهب إلى أبي بكر رفيقه في الرحلة في وقت قلّ من يراه فيه ، ليتخفى عنهم ، لأن الناس في وقت الظهيرة وشدة الحر ، يلزمون بيوتهم

ويغطي صلى الله عليه وجهه ، كما في قول السيدة عائشة رضي الله عنها (مُقْبِلًا مُنْقَنَعًا ، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا) هو أيضا زيادة في التخفي عن أعين الأعداء ، وأمر صلى الله عليه وسلم أبا بكر بإخراج من في بيته من غير أهله ، كما في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الحديث (فَقَالَ حِينَ دَخَلَ لِأَبِي بَكْرٍ) أَخْرَجَ مَنْ عِنْدَكَ) ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن لا يسمع كلامه أحد ، حتى لا ينقل إلى قريش ، فطلب من أبي بكر أن يخرج من بيته من لا يثق فيه ، ويفشي سره ، وهذا تحقيق لقوله صلى الله عليه وسلم كما جاء في السلسلة الصحيحة للألباني (استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان)

* * ثانيها :- (التموية على المشركين) وذلك من خلال تكليف علي بن أبي طالب بالنوم في فراشه صلى الله عليه وسلم ، تمويها على المشركين وتخديلا لهم.

* * ثالثها :- (استتجار دليل يصحبهم في هذه الرحلة) ؛ لأن الطريق غير معروف، والضياح في الصحراء أمر خطير، ولا بُدَّ أن يكون هذا الدليل ماهراً في حرفته، أميناً على السرّ، وفي الوقت ذاته لا يشكُّ المشركون في أمره، وقد اتفق الرسول صلى الله عليه وسلم مع الصديق رضي الله عنه على أن يكون هذا الرجل هو عبد الله بن أريقط، وهو من المشركين، وهذا في منتهى الذكاء؛ فالمشركون لن يشكوا مطلقاً في أمره إذا رأوه سائراً خارج مكة، وهو في الوقت ذاته رجل أمين يكتُم السرّ، وهو رجل في النهاية صاحب مصلحة، فقد استُوجِرَ بالمال، ولا شكَّ أن أجرته كانت مجزية.

* * رابعها :- ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى غار ثور واختياره له دون غيره ، واختفاؤه فيه ثلاثة أيام ، فالرسول صلى الله عليه وسلم اتجه جنوباً حيث غار ثور ، لأنه يعلم أن القوم سوف يتجهون للبحث عنه جهة المدينة جهة الشمال ، فهو يختبئ في عكس اتجاههم ، ويمكث فيه ثلاثة أيام حتى يبأس القوم من العثور عليه ، ويتأكدوا من إفلاته من بين أيديهم ، فلا يبحثون عنه.

*خامسها :- قيام عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما بدور المخابرات في هذه العملية الخطيرة؛ فكان يذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والصدّيق رضي الله عنه كل يوم بأخبار مكة، وتحركات القرشيين، وردود الأفعال لخروج الرسول صلى الله عليه وسلم، ويأتي في أول الليل، ويبقى مع الرسول صلى الله عليه وسلم والصدّيق رضي الله عنه طوال الليل ثُمَّ يعود إلى مكة قبل الفجر، ويبيت هناك، ثُمَّ يُظْهِر نفسه للناس، فلا يشكُّ أحدٌ في أنه كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه.

*سادسها :- التغطية لهذه العملية وذلك من خلال قيام عامر بن فهيرة رضي الله عنه مولى الصدّيق رضي الله عنه برعي الأغنام فوق آثار أقدام الرسول صلى الله عليه وسلم والصدّيق رضي الله عنه، ثُمَّ فوق آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما بعد ذلك، حتى يضيع على المشركين فرصة تتبع آثار الأقدام.

*سابعها:- تهيئة التربة الصالحة في المدينة المنورة، لاستقبال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فكان لابد من اختيار عنصر يجمع بين الكفاءة العلمية، والشجاعة النفسية، والجرأة الدعوية، بحيث يستطيع أن يدخل الإسلام إلى كل بيت من بيوت المدينة، على أن تتم هذه العملية في غضون سنة.

فاختار النبي صلى الله عليه وسلم لهذه المهمة الجريئة مصعب بن عمير رضي الله عنه..
أحبتني في الله:-

هكذا خطط رسول الله صلى الله عليه وسلم لهجرته وعمل بكل الأسباب التي تحقق نجاحه، ومع ذلك فهو يعلم أن الأسباب وحدها لا تنفع ما لم يكن معها التوفيق والسداد من الله مسبب الأسباب ، لذلك ، رغم كل هذا التخطيط ، وهذه الاحتياطات ، إلا أن الكفار وصلوا بالفعل إلى الغار ولو نظر أحدهم تحت قدميه لرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه كما في صحيح مسلم عن أنس بن مالك (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ حَدَّثَهُ قَالَ نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَقَالَ « يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا »).

*ولذا كانت عناية الله عز وجل تصاحبه صلى الله عليه وسلم وصاحبه، في كثير من مواطن الهجرة منها:

*ما وقع له عند خروجه من بيته إذ خرج صلى الله عليه وسلم من بيته بحفظ الله تعالى له ، وفي رعايته وعنايته وهو يخترق صفوف المشركين، وفي يده الشريفة حفنة من التراب، فجعل يذره على رؤوسهم، وهو يتلو

قول الله تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) [يس:٩] ، فقد أعمى الله أبصار قريش عنه فلا يرونه، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا.

**وفي خبر سراقه بن مالك وهو يلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه، خير دليل على عناية الله ورعايته لنبيه صلى الله عليه وسلم وصاحبه؛ فحينما اقترب منهما، وهو على فرس له، ورآه أبو بكر وقع في نفسه الخوف والحزن، فالتفت أبو بكر، فقال: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تحزن إن الله معنا). وفي ذلك، يقول أبو بكر رضي الله عنه كما في صحيح مسلم " فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا رَأَيْتُ الشَّمْسُ وَاتَّبَعْنَا سِرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ وَنَحْنُ فِي جَدَلٍ مِنَ الْأَرْضِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْنَا فَقَالَ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَيَّ بِطَنْهَا فَقَالَ إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ قَدْ دَعَوْتُمْ عَلَيَّ فَادْعُوا لِي فَإِنَّهُ لَكُمْ أَنْ أُرَدَّ عَنْكُمْ الطَّلَبَ فَدَعَا اللَّهُ فَجَا فَرَجَعَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ."

**أحبتني في الله : ومن هنا أوجه رسالة لكل مؤمن في كل زمان ومكان أقول له لا تغتر بقوتك وتخطيئك ، ولا تتوكل على أسبابك ، ولكن ، عليك أن تعمل بالأسباب ، وتتوكل بقلبك على الله فهو مسبب الأسباب وهذا هو مضمون قوله صلى الله عليه وسلم « يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا » لذلك ، عاتب الله المؤمنين ، يوم أن اغتروا بقوتهم في غزوة حنين وقالوا لن نغلب اليوم من قلة ،قال تعالى (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْكُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَدَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)[التوبة: ٢٥-٢٦]

والمأمل يجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أعد خطة محكمة معتمداً فيها على الله تعالى كذلك اختار من ضمن خطته الكفاءات في هذا العمل وذلك من خلال اختيار الشخص المناسب في المكان المناسب وحسن توظيف الطاقات. فالرفيق أبوبكر الصديق رضي الله عنه وكلف علي بن أبي طالب بالنوم في فراشه صلى الله عليه وسلم، تمويها على المشركين وتخديلا لهم، كذلك كلف الراعي عامر بن فهيرة أن يسلك بقطيعه طريق الغار، ليزيل آثار الأقدام المؤدية إليه، ثم يسقي النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من لبن غنمه. كذلك اختار عبد الله بن أريقط دليلا عارفا بالطريق ولو كان مشركا، مادام مؤتمنا، متقنا لعمله، كذلك اختار مصعب ابن عمير رسولا ليهيئ له تربة صالحة في المدينة..

* * * وفي الختام أقول لكم أحبتي في الله :- ما أوجنا إلى التخطيط في كل مجالات حياتنا ، اقتداء برسولنا صلى الله عليه وسلم ، ولعل من أهم أسباب ضعف المسلمين اليوم وتأخرهم ، هو عدم التخطيط في كل شؤون حياتهم ، في الوقت الذي سبقنا فيه أعداؤنا بتخطيطهم المتقن والبارع في كل مجالاتهم ، فلنأخذ من سيرة رسولنا وهجرته دروسا وعبرا ،

وكما نخطط لدنيانا علينا كذلك أن نخطط لآخرتنا إذا أردنا الفوز والنجاة..

ولنستمع إلى من وَصَحَ الأهدافَ العِملاقَةَ، وسعى لتحقيقها بنفسِ تَوَاقَةٍ، يقولُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضي اللهُ عنه لرجاءِ بنِ حيوةَ: "يا رجاءُ، إنَّ لي نَفْساً تَوَاقَةً، وما حَقَّقْتُ شيئاَ إلا تَأَقَّتْ لما هو أعلى منه؛ تَأَقَّتْ نفسي إلى الزِواجِ من ابنةِ عَمِّي فاطمةَ بنتِ الخليفةِ عبدِ الملكِ فتزوجتها، ثم تَأَقَّتْ نفسي إلى إمارةِ المدينةِ فولَّيتها، وتَأَقَّتْ نفسي إلى الخِلافةِ فنلتها، والآنَ يا رجاءُ .. تَأَقَّتْ نفسي إلى الجَنَّةِ، فأرجو أن أكونَ من أهلِها."

أيُّها الأَحِبَّةُ: للأسف الشديد أن كثيراً منَّا يعيشُ حياةً فوضويَّةً يتحكَّمُ فيها الوقتُ الحاضرُ، ونقضي ساعاتنا وأيامنا دونَ هَدَفٍ واضحٍ وإنجازٍ ظاهرٍ، نذهبُ إلى أعمالنا ومدارسنا، ثُمَّ نعودُ ونرتاحُ قليلاً، وبعدَ الرَّاحةِ نبدأُ نُفَكِّرُ، ماذا نَفعَلُ في يومنا هذا؟، وكيفَ نقضي أوقاتنا؟، وأينَ نذهبُ؟، ونُجري الاتصالاتِ، ونُرسلُ المُحادثاتِ، ونستقبلُ الزَّياراتِ، حتى يأتِي وقتُ النَّومِ فننامُ، وهكذا تمرُّ السَّنونُ، بعيداً عن أهدافٍ مُحدَّدةٍ وأوقاتٍ مُسدَّدةٍ، ولهذا يشتكى كثيرٌ من الكِبَارِ والصِّغارِ المَلَلُ، لأنَّهم لا يسعونَ في تحقيقِ ما يُريدونَ من أَمَلٍ، لا يخططونَ له..

العجيبُ أنَّ ديننا دينُ نِظامٍ وأهدافٍ وإنجازاتٍ، ودينُ طُموحٍ وتخطيطٍ والتزاماتٍ، ولذلك جعلَ اللهُ تعالى لنا عباداتٍ واجبةً ومُستحبةً، يوميةً وأسبوعيةً وسنويةً، تدريباً لنا على الانضباطِ والمتابعةِ، تبدأُ في أوقاتٍ مُحدَّدةٍ وتنتهي في أوقاتٍ مُحدَّدةٍ، تحتاجُ إلى رِباطٍ وجرصٍ وتهيئةٍ واستعدادٍ، لتحقيقها في أوقاتها والفوزِ يومَ المَعادِ، قالَ تعالى : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) [المؤمنون: ١١٥].

* * *

أسألُ الله تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

* * *

كتبه:- الشيخ/ كمال السيد محمود محمد المهدي إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية.